مقومات الهوية الوطنية في مواثيق الثورة الجزائرية.

أ. حسن بن تيشة

benticha-hacen@unv-eloued.dz

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

ملخص

تعد مواثيق الثورة الجزائرية المصادر الأساسية الأولى في معرفة أهداف ومبادئ والتوجهات السياسية للثورة ،وتعتبر هذه النصوص البرنامج الثوري والنظرة المستقبلية للبلاد ،وتتمثل هذه المواثيق في النصوص الثلاث بيان أول نوفمبر مؤتمر الصومام وبرنامج طرابلس، وتعد مسألة الهوية ركيزة القضايا التي تطرقت إليها. ومن خلال هذا المقال نريد معرفة مقومات الهوية الوطنية استنادا إلى هذه النصوص الثورية ومنه يمكن طرح الإشكالية التالية: كيف كان تصور الهوية في نظرة معدي مواثيق الثورة الجزائرية ؟.

Abstract

The charters of algerian ravolutoion is considered as the first resourses to knowthe obgectives brincibals bolitical orientation of the revolution.and this texts is considered as the program s ravolutoion and the outlook mani of the contry and these charters are represented by the three texts the statement of.November the soummam conferance tripoli program.and the issue of identity is the cornerstone of the ones that have touched upon it through this article we want to know the fundamentals of national identity based on these revolutionary texts from which can be raised the following problem: how was the perception of identity in the authors views the protocols of the algerian revolution.

مقدمة:

تعرض كثير من الباحثين أثناء دراساتهم في تاريخ الثورة الجزائرية إلى مسألة الهوية بشكل مختلف، فمنهم من رأى أن المواثيق الثورية أقرت واعترفت وبينت بشكل واضح هذه الروابط ومنهم من اعتبرها خلاف ذلك في هذا المقال نحاول التعرف على مكانة الهوية في مواثيق الثورة الجزائرية.

أولا: تعريف الهوية.

في اللغة: جاء في لسان العرب. قال ابن أعرابي: هوية أراد أهوية فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء[1].

وفي المنجد الهوية هو ضمير للغائب المفرد المذكر، ويقال للمفرد هما وجمع المذكر هم ويقال للمؤنث المفرد هي وللمثنى هما وللجمع هن .والهوية حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وذلك منسوب إلى هو. والهو هو لفظ مركب من هو هو، جعل جعل، اسما معروفا بالام ومعناه الاتحاد بالذات[2].

للهوية علاقة بالتطابق مع الذات عند الشخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة والأحوال . ويمكن وصف الخطابات المهيمنة والسائدة عن الهوية وتتسم بكونها جوهرية وبتالي تصبح الهوية سمة طبيعية وأبدية تصدر عن التطابق مع الذات أو الفرد أو الكيان الجمعي المكتفي ذاتيا غير أن هناك أراء تميل إلى التأكيد على وضعية البناء الاجتماعي لجميع الهويات، فينظر على أساس أنها تأسست في سياقات اجتماعية وتاريخية محددة[3].

أما الهوية في الاصطلاح: يذهب كثير من الباحثين إلى تحديد الهوية يكون وفقا للعلم الذي يحقق فيها، أي أن لكل علم تعريف خاصا للهوية ويختلف على غيرها مثلا في علم

النفس والاجتماع والسياسة غير أنها تتحد في إطار واحد كبير وهو الخصوصية والتميز عن الغير[4] .

ثانيا: محددات الهوية الوطنية.

لقد ارتبطت هوية المجتمع الجزائري ارتباطا وثيقا بالأحداث التاريخية التي مر بها قديما وحديثا وفي مقدمة هذه الأحداث شكل الاحتلالات التي عرفتها الجزائر منذ قرون والتي كان لها بالغ الأثر في نسج خيوط هوية مركبة من أمازيغية وإسلام وعروبة على الأقل في شكله اللغوي هذه الهوية التي حاول الاستعمار الفرنسي طمسها ومسخها .

المجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، بالتالي فان الهوية الجزائرية بالمفهوم الحضاري تعني الانتماء إلى الأمة العربية بكل مكونتها هذه الهوية الواضحة اجتماعيا والتي تحضي بالقبول النسبي من طرف جميع أفراد المجتمع وكذا مختلف الفاعلين السياسيين داخل المجتمع الجزائري بالإضافة إلى عوامل أخرى تاريخية محلية وكونية ساهمت في بلورت ثوابت معينة للهوية الجزائرية تتمثل في ثلاث محددات:

1 الدين الإسلامي: كمرجع أول ومصدر أساسي لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا وولائنا ونهضتنا كون العقيدة الإسلامية المكون المهم والأكبر الذي يجمعنا مع مختلف الشعوب والقوميات وأمم العالم الأخرى الداخلية عن الدين الإسلامي

2 اللغة العربية: وهي لغة القرآن الكريم فالعروبة عامل يجمع ويشمل جميع المسلمين

3 الأصل الأمازيغي:

يمكن القول أن لكل مجتمع خصوصية ثقافية تشكل هويته الذاتية ويسعى جاهدا إلى المحافظة عليها ومنعها من الاندثار في ظل منافسة الثقافات الأخرى.

فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي امازيغي متوسطي إفريقي عالمي يجمع بين الشاوية القبائلية والميزابية والتارقية رغم هذا التعدد الثقافي فإنها تحيا داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام والأصل الامازيغي[5] .

ثالثا: الهوية في فكر مهندسو الثورة.

اختلف المؤرخون حول مسألة الهوية وحضورها في أذهان المفجرين للثورة، يمكن أن نورد رأيين في هذا المقام.

ذكر سلمان الشيخ تمسك جبهة التحرير الوطني بالهوية الوطنية "أن دعوة جبهة التحرير إلى التضامن العربي، في نضاله ضد السلطة الاستعمارية، بدأت منذ البداية[6].

في حين اقر سعد الله أن مسألة الهوية لم تكن في أذهان من خططوا للثورة، كان هدفهم إحداث صدمة نفسية وضربة عسكرية لصخرة الاحتلال الجاثمة على صدر الجزائر، وقد صرحوا بعض القادة بذلك فبوضياف وبيطاط وبن طوبال لم يكونوا يتوقعوا انتصارا عسكريا إنما هدفهم اقاض الشعب من سباته ويعتبر بن طوبال الثورة مغامرة وان المبدأ المتمسكين به هو القيادة الجماعية والهدف هو الاستقلال، وأنهم لم يضعوا برنامجا ولا أيديولوجية[7].

رابعا: الهوية في مضمون مواثيق الثورة.

1 بيان أول نوفمبر: لقد لاقى الاستعمار مقاومة كبيرة من طرف السكان كان مصدرها المساجد والزوايا التي كانت منتشرة عبر كافة ربوع الوطن ومن اجل هذا وجهت السلطات الفرنسية ضربات قاسية للجانب الديني وسعت إلى تشويهه وتزييفه وإغراقه في متاهات الشعوذة والدروشة وتحويل المؤسسات الدينية إلى مراتع للاستعمار أو تعرضها إلى الهدم أو النسف أو زرع البلبلة في الأوساط الشعبية مخافة التوحد والاتحاد[8].

لقد وعى مفجرو الثورة هذا الأمر جيدا مما جعلهم يسعون جاهدين إلى الاهتمام بهذا الجانب الديني الذي لم يختف في النصوص الأساسية للثورة فقد تضمن البيان أول نوفمبر ذلك نوردها فيما يلي[9].

أقامت الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

ومن بين الأهداف الخارجية التي وضعوها تحقيق وحدة شمال إفريقيا داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.

كمان نص البيان على بندا وهو أن الحرب ليست غاية إنما وسيلة للوصول للهدف المنشود وهو تحرير البلاد من براثن الاستعمار وجبهة التحرير مستعدة للدخول في مفاوضات مع الطرف الفرنسي من اجل تقرير المصير شريطة التماسه منها النية الطيبة " الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر ارض فرنسية وتنكر للتاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات التي يتميز بها الشعب الجزائري".

ومن مظاهر الهوية في بيان أول نوفمبر تحديد وتبيين المصالح الفرنسية وقد جاء في نص البيان "جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لديهم من حقوق وما عليهم من واجبات"[10].

2 في مؤتمر الصومام: لقد جاءت قرارات مؤتمر الصومام مؤكدتا لما جاء في بيان أول نوفمبر.

في ما يخص التنظيم السياسي الفعال: ورد

إقرار مبدأ السيادة الجماعية.

تحقيق اتحاد الشعب في الكفاح بدون تحيز أو تعصب.

الغاية المنشودة هي الاستقلال الوطني[11].

أما بالنسبة لأفاق الثورة فقد اتضح أن الثورة وطنية شعبية وبتالي وجب ما يلي:

اتخاذ مذهب سياسي واضح، أما بالنسبة لوقف القتال فشروطه هي

الاعتراف بوحدة الشعب الجزائري.

استقلال الجزائر وسيادتها.

الاعتراف بجبهة التحرير الوطني ممثل الوحيد والشرعي للشعب الجزائري.

تحدد شروط المفاوضات في ما يلي:

حدود القطر الجزائري بما فيها الصحراء[12].

ذكر لحسن زغيدي في كتابه انه ليس من هدف الثورة الجزائرية رمي الجزائريين من ذوي الأصل الأوروبي في البحر إنما هدم النير الاستعماري كما أن الثورة ليست حربا أهلية دينية بل أنها ثورة تريد الاستقلال إقامة جمهورية ديمقراطية واجتماعية تضمن المساواة بين مواطني الوطن الواحد[13].

كما ركز المؤتمر على وحدة الشمال الإفريقي، وضرورة تفعيل العمل المشترك وذلك راجع إلى العوامل المشتركة الجغرافية والتاريخ واللغة والحضارة والمصير

كما رجع المؤتمر في قراراته إلى بيان أول نوفمبر الذي استمد منه الروح[14].

3 الهوية في مؤتمر طرابلس.

جاءت النشرة المطبوعة سنة 1962للمفاوضية لهيئة الأركان تحت عنوان ماذا يجب على المناضل أن يعرفه، أن جيش التحرير مع الشعب هو القوة الأساسية المحركة للثورة... لهذا فان جيش التحرير يحمل مسؤولية ثقيلة اتجاه الشعب واتجاه التاريخ، ويخضع لمبادئ الثورة[15].

تم اجتماع طرابلس من الفترة الممتدة 25 ماي إلى 7 جوان 1962 بحضور 66 صوتا في المجلس أحصى من بينهم 35 ممثلا على فدرالية فرنسا وقد تم تحديد جدول الأعمال في نقطتين هما:

1 تحديد برنامج لجبهة التحرير ولمستقبل الدولة والمجتمع الجزائري.

اختيار أجهزة السلطة السياسية أو تشكيل قيادة عليا للثورة باسم المكتب السياسي لحكم الجزائر الاستقلال[16].

المعالم الكبرى للمشروع المجتمعي في برنامج طرابلس 1962 يمكن القول أن جملة الظروف والعوامل التي صيغ فيها لم تكن ملائمة بالشكل المطلوب لا فكريا ولا سياسيا مما جعل الوثيقة تخرج على روح المجتمع وفلسفته الحياتية كما ظهرت مقطوعة الجذور التاريخية والحضارية بل متناقضة مع إيديولوجية الثورة وأدبياتها الفكرية[17]. وذلك راجعا إلى :

غياب التجانس بين معدو الوثيقة وكانوا اغلبهم مشبعين بالثقافة الغربية بعيدينا تماما على الحضارة العربية الإسلامية التي ينتمي إليها المجتمع الجزائري.

اعتماد الإقطاع قاعدة ومنطق لتحليل الواقع المجتمعي الجزائري رغم أن هذا النظام لم يعرف إلا في الفترة الاستعمارية.

اعتماد النظريات الماركسية في تقييم مراحل الثورة ومساراتها وعليها تم إعداد برنامج البلاد المستقبلي هذا منافيا لبيان أول نوفمبر ومنذ انطلاق الثورة اتخذت من المبادئ الإسلامية مرجعا لها و وسببا في استنفار الجماهير الشعبية ودافعا قويا للاستشهاد[18].

يمكن القول ا ناول قضية عكستها مختلف مواثيق الثورة هي كيفية القضاء على الاستعمار وبناء دولة جزائرية مستقلة تستعيد كيانها الذي حاول الاستعمار تحطيمه[19].

خامسا الانتقادات الموجهة للمواثيق.

1 بيان أول نوفمبر.

هناك اختلاف كبير بين المؤرخين حول المرجعية الإسلامية والعربية للبيان فمنهم من يراه وثيقة كاملة ومتكاملة حول الثورة ومستقبل البلاد، ومنهم فرحات عباس الذي وصفه بأنه عقد ازدياد الجزائر الجديدة. ومنهم من يراه وثيقة ظرفية تهتم بالانطلاقة الثورية فقط وقد ذهب المؤرخ الكبير سعد الله إلى أن البيان قد أشار إلى المقومات الشعب الجزائري اللغة الدين التاريخ الجغرافيا العادات بالمفهوم ليس بالتصريح[20].

وان أول نقطة دار حولها النقاش هي مسألة قيام دولة اشتراكية أو إسلامية أو ليبرالية ويبدو أن محررو البيان كانوا اشتراكيين لكن مراعاة إلى الجماهير وان الهدف هو إقامة دولة

ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية وهذا أمر غامض وان كلمة ديمقراطية اجتماعية هو تقليد للنموذج السائد في المعسكر الشرقي.

لغة البيان ومضمونه: كتب البيان باللغة الفرنسية من قبل شخص أو أشخاص لهم صيلة ضعيفة بالثقافة الإسلامية ولم يدرسوا في المدارس المعروفة الزيتونة أو القرويين.

يشير سعد الله أن البيان كان بمثابة نتاج لمرحلة سياسية محددة أدت إلى أن يصوغه وطنيون ذوو ثقافة ماركسية علمانية بعيدين عن تراثهم الثقافي الإسلامي وذلك راجع إلى النشاط السياسي على ارض الواقع، بل حتى إن تقدمت الثورة لم تتضح عند قادتها فكرة الانتماء الحضاري ولا العمق الثقافي فلم يتداركوا في كتاباتهم ما فات محررو البيان[21].

2في مؤتمر الصومام.

لقد دعت الثورة كافة أبناء الشعب الجزائري للالتفاف حولها كما دعت كافة التشكيلات الوطنية للانضمام لكن بشرط التخلي على الحزبية والالتحاق فرادى وقد استجابت أغلبية التشكيلات الوطنية في السنتين الأوليتين من عمر الثورة 1956 .لقد تم المؤتمر الصومام 1956 ولم يشر المحضر إلى أن من بين أهداف المشكلة في الجزائر تحقيق هدف ثقافي أو استرجاع هوية ثقافية كما لم ينص على أن شروط وقف القتال شرط ثقافي كما تحدث على فدرالية المغرب العربي والدعم العربي وليس الإسلامي وقد ألح المحضر المؤتمر على أن الثورة الجزائرية ليست حربا أهلية بين الأقلية الأوربية والأغلبية المسلمة ولا حربا دينية أو جهاد بين الإسلام والمسيحية.[22]

3في وثيقة طرابلس

كان مقرر في جدول الأعمال لمؤتمر طرابلس صياغة برنامج أو منهج عمل فكري تسير عليه الجزائر مستقلة، وقد أودعت الحكومة المؤقتة هذه المهمة لبعض الخبراء في هذا المجال لكن اغلب العناصر كانت معروفة باتجاهها الاشتراكي الماركسي العلماني وبعد أشهر خرج المجتمعون بما عرف ببرنامج طرابلس الذي عرض في المؤتمر وتم الموافقة الشبه

تامة دون نقاش وفعلا تحدث البرنامج على مستقبل البلاد الثقافي لكن مرجعيته أوروبية بعيدة كل البعد على العربية والإسلامية.[23]

---

[1] بن منظور، لسان العرب، دط، دار صادر ،بيروت،1970،ص 376.

[2] مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة والإعلام، دط، دار المشرق ،بيروت،2000،ص875.

[3] طوني بنيت وآخرون، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر محمد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة ،لبنان،

[4] خليل نوري مسيهل العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية،ط1،مركز الدراسات والبحوث الإسلامية،العراق،2009،ص 41.

[5] شرقي رحيمة، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، جوان 2013،ص194.

[6] سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،2003،ص554.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1654 1962،ط خ، دار البصائر،الجزائر،2007،ج 10،ص126.

[8] محمد العربي زبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1،دار هومة،الجزائر،2000،ص9.

[9] محمد العربي زبيري وآخرون، كتاب مرجعي على الثورة 1954 1962،ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،ص32.

[10] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997،ص578.

[11] محمد لحسن زغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية1956 1962،دط،دار هومة ،الجزائر،2009،ص138.

[12] نفسه ص143.

[13] نفسه،ص146.

[14] سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،2003،ص92.

[15] يوسف قاسمي، مواثيق الثورة الجزائرية 1954 1962 دراسة تحليلية نقدية، إشراف بوصفصاف عبد الكريم، جامعة الحاج لخضر ،باتنة، الجزائر 2008 2009م،ص342.

[16] نفسه،ص342.

[17] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1654 1962،ط خ، دار البصائر،الجزائر،2007،ج 10،ص91.

[18] نفسه،ص91.

[19] شريط عبد الله، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986.ص145.

[20] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ص82.

[21] نفسه،ص82.

[22] نفسه،ص83.

[23] نفسه،ص90.